

— ٤٤ —

وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأنًا ، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت ، لأنهما عدلان متقابلان : عالم العراك والجهاد ، يقابله عالم السكينة والأطمئنان . وتدبير الجيل الحاضر يقابله تدبير الجيل المقبل . وكلاهما في اللزوم وجلالة الخطر سواء .

وإنما الآفة كلها من حب المحاكاة بغير نظر إلى معنى المحاكاة . فان المرأة تخيل إليها أنها لا ترفع الضبعة عن نفسها إلا إذا عملت عمل الرجال ، وطالبت بحقوق الرجال ، وقيل إن النساء والرجال سواء ، في جميع الأعمال والأحوال . ولولا مركب النقص لكان للمرأة فخر بمملكة البيت وتنشئة « المستقبل » فيه لا يقل عن فخر الرجل بسياسة « الحاضر » ، وحسن القيام على مشكلات المجتمع التي تحتاج إلى الجهد والكفاح . وهي لو رجعت إلى سلفتها لأحست أن زهوها بالأمومة أغلى لديها ، وألصق بطبعها ، من الزهو بولاية الحكم ورئاسة الديوان . فليس في العواطف الإنسانية شعور يملأ فراغ قلب المرأة كما يملأه الشعور بالتوفيق في الزواج والتوفيق في إنماء البنين الصالحين ، والبنات الصالحات .

* * *

وقد لوحظ هذا الاعتبار في تقسيم الميراث بين الذكور والإناث ، فأعطى الذكر مثل حظ الأنثيين ، وبنيت هذه القسمة قبل كل شيء على اعتبار واحد : وهو أن الرجل يتكفل بعميشة المرأة ، وهي مشغولة بأمر البيت ورعاية الأسرة ، وأنه هو الذي يجمع الثروة ويكدح في طلب المال ، فمن العدل أن يعطى منه نصيبين ، على قدر سعيه في تحصيله ، وعلى قدر حاجاته التي تشتمل على حاجة النساء ، ومن يعولهم من الزوجات والأبناء .

* * *

وصف القرآن المرأة بالكيد العظيم .

وهو وصف لا يناقض رجحان الرجل عليها في العقل والتدبير ، لأن سلاحها في هذا الكيد من أسلحة الطبيعة التي تستميل بها الرجل إليها ،